

خطبة الإمام الحسين (عليه السلام) الأولى يوم عاشوراء

بعد أن صفّ ابن سعد جيشه للحرب ، دعا الإمام الحسين (عليه السلام) براحلته فركبها ،
ونادى بصوت عال يسمعه جلّهم :

(أيّها الناس اسمعوا قولي ، ولا تعجلوا حتّى أعظّم بما هو حق لكم عليّ ، وحتّى
أعتذر إليكم من مقدمي عليكم ، فإن قبلتهم عذري ، وصدّقتم قولي ، وأعطيتموني
النصف من أنفسكم ، كنتم بذلك أسعد ، ولم يكن لكم عليّ سبيل ، وإن لم تقبلوا منّي
العذر ، ولم تعطوني النصف من أنفسكم ، فاجمعوا أمركم وشركاءكم ، ثمّ لا يكن أمركم
عليكم غمّة ، ثم اقضوا إليّ ولا تنظرون ، إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولّى
الصالحين) .

فلما سمعت النساء هذا منه صحن وبكين ، وارتفعت أصواتهن ، فأرسل إليهن أخاه العباس ، وابنه
عليّاً الأكبر ، وقال لهما : (سكتاهن ، فلعمري ليكثر بكأوهن) .

ولما سكتن ، حمد الله وأثنى عليه ، وصلى على محمّد وعلى الملائكة والأنبياء ، وقال في
ذلك ما لا يحصى ذكره ، ولم يسمع متكلم قبله ولا بعده أبلغ منه في منطقته ، ثمّ قال :

(الحمد لله الذي خلق الدنيا ، فجعلها دار فناء وزوال ، متصرّفة بأهلها حالاً بعد
حال ، فالمغرور من غرته ، والشقي من فتنته ، فلا تغرّكن هذه الدنيا ، فإنّها تقطع
رجاء من ركن إليها ، وتخيب طمع من طمع فيها ، وأراكم قد اجتمعتم على أمر قد
أسخطتم الله فيه عليكم ، وأعرض بوجهه الكريم عنكم ، وأحلّ بكم نقمته ، وجنّبكم
رحمته ، فنعم الرب ربّنا ، وبئس العبيد أنتم .

أقررتكم بالطاعة ، وآمنتكم بالرسول محمّد (صلى الله عليه وآله) ، ثمّ إنكم زحفتم إلى
ذريته وعترته تريدون قتلهم ، لقد استحوذ عليكم الشيطان فأنساكم ذكر الله العظيم ،
فتبّاً لكم ولما تريدون ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، هؤلاء قوم كفروا بعد إيمانهم ، فبعداً
للقوم الظالمين .

أيها الناس : انسبونني من أنا ، ثمّ ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها ، وانظروا هل يحل
لكم قتلي ، وانتهاك حرمتي ، ألسنت ابن بنت نبيكم ، وابن وصيه وابن عمّه ، وأول
المؤمنين بالله ، والمصدّق لرسوله بما جاء من عند ربّه ؟

أو ليس حمزة سيّد الشهداء عم أبي؟ أو ليس جعفر الطيار عمي؟

أو لم يبلغكم قول رسول الله (صلى الله عليه وآله) لي ولأخي : (هذان سيّدا شباب أهل الجنّة) ، فإن صدقتموني بما أقول وهو الحق ، والله ما تعدت الكذب منذ علمت ، أنّ الله يمقت عليه أهله ، ويضرب به من اختلقه ، وإن كذبتموني ، فإن فيكم من أن سألتموه عن ذلك أخبركم ، سلوا جابر بن عبد الله الأنصاري ، وأبا سعيد الخدري ، وسهل بن سعد الساعدي ، وزيد بن أرقم ، وأنس بن مالك ، يخبرونكم أنهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله (صلى الله عليه وآله) لي ولأخي ، أما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي ؟) .

فقال الثمر : هو يعبد الله على حرف إن كان يدري ما يقول .

فقال له حبيب بن مظاهر : والله إنّي أراك تعبد الله على سبعين حرفاً ، وأنا أشهد أنّك صادق ما تدري ما يقول ، قد طبع الله على قلبك .

ثم قال الحسين (عليه السلام) : (إن كنتم في شك من هذا القول ، أفتشكون فيّ أنّي ابن بنت نبيكم ؟ فو الله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبي غيري فيكم ، ولا في غيركم ، ويحكم أطلبوني بقتيل منكم قتلته ؟ أو مال لكم استهلكته ؟ أو بقصاص جراحة ؟) .

فأخذوا لا يكلمونه ، فنادى (عليه السلام) : (يا شيبث بن ربعي ، ويا حجار بن أبجر ، ويا قيس بن الأشعث ، ويا زيد بن الحارث ، ألم تكتبوا إليّ أن أقدم ، قد أينعت الثمار ، واخضرّ الجناب ، وإنّما تقدم على جندك مجنّدة ؟) .

فقالوا : لم نفعل .

فقال (عليه السلام) : (سبحان الله ، بلى والله لقد فعلتم) .

ثم قال (عليه السلام) : (أيها الناس : إذا كرهتموني فدعوني انصرف عنكم إلى مأمن من الأرض) .

فقال له قيس بن الأشعث : أو لا تنزل على حكم بني عمك ؟ فإنهم لن يروك إلا ما تحب ،
ولن يصل إليك منهم مكروه ؟

فقال (عليه السلام) : (أنت أخو أخيك ، أتريد أن يطلبك بنو هاشم أكثر من دم
مسلم بن عقيل ، لا والله ، لا أعطيهم بيدي إعطاء الذليل ، ولا أفرّ فرار العبيد ، عباد
الله إني عدت بربي وبريكم إن ترجمون ، أعوذ بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم
الحساب) .